الورقة الثانية

إمكانات الأطراف وإراداتها في شن الحرب وتداعياتها

أ. موسى الحديد*

البيئة الاستراتيجية لأطراف أي حرب متوقعة

أولاً: الولايات المتحدة

ترغب الولايات المتحدة في استمرار سيطرتها على الشرق الأوسط، وتحسين شروط هذه السيطرة، وتوسيعها لتشمل كافة أقطاره، لما يمتلكه هذا الإقليم من ميزات استراتيجية هامة، تتعلق بموقعه الاستراتيجي، واحتوائه مصدر الطاقة الرئيسي، وحفظ الأمن القومي الإسرائيلي، لذلك فهي تهدف إلى بناء نظام أمن إقليمي تشارك فيه إسرائيل، ولتحقيق هذه الاستراتيجية عملت السياسة الأمريكية في اتجاهات عدة:

١- توثيق علاقاتها مع معظم دول المنطقة من خلال اتفاقيات ثنائية، وضمنت بذلك تأييدها السياسي ووجودها الاقتصادي والعسكري.

٢- تشكيل تحالف دولي لغزو واحتلال الدول التي كانت تشكل ممانعة ومقاومة لمشروعها في الإقليم، وأرهبت باقي دول الممانعة.

٣- منع وتفكيك أي محاولة لإقامة نظام أمن إقليمي يستثني إسرائيل، ويهدد مصالحها.

٤- منع أو تحديد ارتباطات دول الإقليم مع قوى عالمية «الصين، وروسيا».

ورغم كل هذه الإجراءات لا زالت هناك صعوبات عدَّة تواجه السياسة الأمريكية في الإقليم، وعلى رأسها:

- قوة المقاومة واستمرارها في كل من العراق وأفغانستان، وبداية تفكك التحالف الدولي الذي أنشأته أمريكا، وضعف الأنظمة التي أقامتها في هاتين الدولتين.
- ارتفاع كلفة الاحتلال مادياً وبشرياً، وبشكل خاص بعد الأزمة المالية التي يعيشها العالم الآن.
- استمرار قوة تيار المعارضة والممانعة وتناميه، وتراجع قوة تيار الاعتدال المساند

* لواء متقاعد وخبير استراتيجي- الأردن.

للسياسات الأمريكية في الإقليم، بسبب غياب المسوغات السياسية والأخلاقية، وضعف الاستراتيجيات الأمريكية في مواجهة المواقف.

ثانياً: إسرائيل

يخالف نشوء الكيان الإسرائيلي الأنماط الطبيعية لنشوء المجتمعات والدول وتكوُّنها، فهو كيان غير متجانس كونه تجمعاً لأعراق من معظم القارات، متعدد اللغات، حضارته متقلبة ومنبوذة لما تتصف به من خبث وأنانية ونشر المفاسد، وعقيدته ميكافلية تتصف بالمادية وتسوغ الدسائس والكذب كسياسة معتمدة للبقاء، وتبنيه فكراً عنصرياً صهيونياً يلغي مفهوم التعايش السلمي والتسامح الإنساني مع المجتمع القائم أصلاً في فلسطينً والمجتمعات المجاورة، من خلال ممارسات غاية في الحقد والكراهية، كاغتصاب الأرض وتزوير الحقائق، وتدمير الفلسطينيين، وقتلهم، وتشريدهم، واضطهادهم.

وهذه السياسات خلقت **صعوبات** عدَّة جوهرية لدولة الاحتلال، أهمها **عداء البيئة المحلية والإقليمية** واستياء البيئة الدولية من السياسات الإسرائيلية الرافضة لقرارات الشرعية، **ومصاعب ديموغرافية** تتمثل بمحدودية القوة البشرية، **ومصاعب اقتصادية** تتصل بمحدودية الموارد مقارنة مع متطلبات البرامج الدفاعية والسياسات التوسعية، وهذه الأمور مجتمعة خلقت هاجساً أمنياً شديد الحساسية، جعل صراع الدولة اتجاه عوامل البيئة صراع وجود عَكَس درجة عالية من التوتر وعدم الاطمئنان، وإحساس دائم بالخوف وفقدان الأمن، وكأن الفرد الإسرائيلي يعيش على فوهة بركان يتوقع ثورانه المدمر في أي لحظة، وزاد الأمور سوءاً الانقلاب الاستراتيجي في معادلة الصراع الإقليمي، وفشل الجيش الإسرائيلي في تحقيق أهدافه، بالرغم من امتلاكه تكنولوجيا دفاعية متقدمة، واستخدامه المفرط لقوة النار في تدمير البنى التحتية، والقتل العشوائي للمدنيين في جنوب لبنان وغزة، وبذلك تراجعت ثقة الشعب بهذا الجيش، وأثر سلباً في تماسك الجبهة الداخلية، وكشف ضعف قدرتها على الصمود في حروب المستقبل.

ثالثاً: الدول العربية

طرأ تغيير كبير على السياسات العربية منذ بد العقد الأخير من القرن الماضي اتجاه الصراع العربي- الإسرائيلي، وبالتالي تغيرت الاستراتيجيات المتَّبعة في الصراع، فتم تجميد

اتفاقات الدفاع العربي المشترك، وغابت الجبهات العربية عن خط المواجهة، وتحول الصراع من صراع عربي مشترك مع إسرائيل إلى صراع قطري مع إسرائيل، وخرجت بعض الدول العربية من دائرة الصراع بفعل اتفاقات التسوية، وتوافقت غالبية الأنظمة العربية على خيار السلام كاستراتيجية وحيدة في إدارة الصراع ونبذ خيار المقاومة، وتمسكت قلة عربية تدعمها معظم الشعوب العربية بخيار المقاومة، لذلك يمكن رؤية تيارين مختلفين في العالم العربي في مواجهة المشروع الصهيوني:

- **تيار الاعتدال**

ويضم الأنظمة الموالية للسياسات الأمريكية في الإقليم، وفي مقدمتها الأنظمة التي وقَّعت اتفاقات تسوية مع إسرائيل، واستطاع هذا التيار أن يجر العالم العربي إلى تقديم مبادرة سلام عربية قدمها إلى إسرائيل والغرب عام ٢٠٠٢ في قمة بيروت، وبالرغم من الفشل الواضح لهذا الاتجاه، إلا أن هذا التيار لا زال متمسكاً بهذه المبادرة التي لم تعرها إسرائيل أي اهتمام.

- **تيار الممانعة**

وهذا التيار يرى أن المفاوضات إحدى وسائل الصراع، إلا أن استراتيجية الصراع الرئيسية هي المقاومة والممانعة ضد المشروع الصهيوني.

وبالرغم من السياسات الأمريكية المنحازة لإسرائيل وممارساتها ضد الأرض والشعب الفلسطيني، واستمرار احتلالها للأراضي العربية، فما زال انقسام الأنظمة العربية قائماً ويترسخ يوماً بعد يوم، ولا زالت المنطقة تفتقر إلى مشروع عربي قومي، يتضمن سياسات وأهدافاً واستراتيجيات وأدوات وآليات وإرادة سياسية لتشكل مشروعاً قوياً متكاملاً، يستطيع إدارة الصراع لمواجهة المشروع الصهيوني والمشاريع الأخرى التي تتهافت على المنطقة، نتيجة الفراغ الذي شكله غياب المشروع القومي العربي، ولا زالت الأنظمة العربية مشتبكة بخلافات بينية أشغلتها وتشغلها عن مواجهة المشروع الصهيوني، وما هو أسوأ من ذلك أن الأنظمة العربية بدأت في توجيه الأنظار ونقل خط المواجهة تجاه إيران وعدِّها عدوّاً، وذلك بفعل التأثير الأمريكي والصهيوني.

رابعاً: إيران

يتنافس **تياران** رئيسيان في إيران للسيطرة على مقاليد الأمور، وكلاهما يؤمن بشكل

عام بمبادئ الثورة الإيرانية، إلا أنهما يختلفان على استراتيجيات الحكم، وهما: **تيار الإصلاحيين** الذي يرى ضرورة الانفتاح على الغرب، **وتيار المحافظين** الحاكم حالياً، ويرى أن الغرب بعامة، وأمريكا بخاصة، تشكل التهديد الرئيسي للأمن القومي الإيراني.

ويعارض هذا التيار أي تنازلات عن مبادئ الثورة الإسلامية، ولهذا التيار تحالفات واسعة مع سوريا والتنظيمات الإسلامية في العالم العربي، وبعد الانتخابات الأخيرة وصلت الخلافات بين التيارين إلى حد كسر العظم، إلا أن الحفاظ على الأمن القومي الإيراني يعدّ هو المطلب الرئيس للشعب والنظام الإيراني، ولهذا فهنالك عاملان رئيسيان يرى التياران أنهما ضروريان لتحقيق هذا المطلب:

أولهما: الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية من الاختراق والتمزق في ظل التهديد الأمريكي المحدق والمحيط بإيران من كل الجهات، وترى أنَّ الإدارة الأمريكية تتحيَّن الفرص للانقضاض عليها، وأسهل المقتربات وأقلها كلفة هو إحداث شرخ واسع في الجبهة الداخلية لها، لذلك فكلا التيارين حريص جداً على أن لا يكون هو الجهة التي يؤتى من قِبَلها، وأن تماسك الجبهة الداخلية يعدُّ الضامن الرئيسي للأمن القومي الإيراني.

ثانيهما: المشروع النووي الإيراني: فكلا التيارين أيضاً يرى أنَّ بلده يستحق أن يكون قوة إقليمية ودولية، ومن حقه حيازة التكنولوجيا النووية، لذلك فإن نجاح المشروع النووي وتحقيقه أصبح مطلباً قومياً يلتف حوله الجميع، والسياسة الأمريكية تدرك هذه الحقيقة، فهي تسعى لزيادة الضغوط على إيران لتمزيق جبهتها الداخلية والتخلي عن المشروع النووي، بالإضافة إلى محاولة إيقاعها في مواجهة مع بعض الدول العربية، وبذلك يسقط نظام الثورة الإسلامية في إيران، وتبدأ مرحلة الانفلات الأمني بين القوميات والإثنيات الإيرانية، وتمهِّد الطريق لبسط النفوذ الأمريكي على المنطقة بشكل تام.

إمكانات الأطراف

ابتداءً يجب التأصيل لحقيقة هامة جداً عند دراسة إمكانات أي طرف في شنِّ حرب ما على طرف آخر، وذلك بعدم حصر تقييم الإمكانات في الجانب العسكري والدفاعي، بل هنالك معادلة هامة يجب أن توضع في الميزان لتقرير القدرة على شنِّ الحرب، وتحقيق القصد والغاية من هذه الحرب.

وتتكون هذه المعادلة من عوامل رئيسية عدة يجب دراستها قبل الإقدام على هذه المغامرة، والإقرار بأن الإمكانات متوافرة أو لا.

ومجمل هذه المعادلة يكمن في استقراء **القوة العسكرية، والقدرة الاقتصادية والتكنولوجية، والقوة السياسية، والجبهة الداخلية، والبيئة الإقليمية والدولية، والعامل الجغرافي،** وتوقيت **الحرب** (الوقت الذي يجب فيه حسم الحرب)، **وعامل السرية والمفاجأة، وشرعية الأنظمة وإراداتها السياسية، وقدرة العدو وردود أفعاله.**

فاستقراء هذه العوامل وتشريحها بشكل تفصيلي من قبل هيئات ركن أصحاب اختصاص، وبيان إيجابياتها وسلبياتها، ومن ثم تأثر وتأثير كل عامل من هذه العوامل في مجمل المعادلة، يمكّن من التوصل إلى استنتاجات منطقية، ومن ثم صياغة القرار، ووضع الخطة التي تبنى على نقاط القوة وتعالج نقاط الضعف، بالإضافة إلى توفير خطط بديلة لمعالجة الظروف الطارئة، وهنا سيتم تحليل إمكانات الأطراف، بدراسة بعض هذه العوامل:

- **الولايات المتحدة**

- **القوة العسكرية**

تمتلك الولايات المتحدة قوات عسكرية هائلة كمًّاً ونوعاً، مسنودة بتكنولوجيا متطورة، موزَّعة على كافة مسارح العمليات في العالم، بالإضافة إلى قدرة عالية في النقل الاستراتيجي وقابلية الحركة، (لذلك فإن العامل الجغرافي لا يبدو ذا تأثير سلبي فعال في ظل الإمكانات الأمريكية الكبيرة في مجال النقل الاستراتيجي)، كما تمتلك منظومة استخبارات ذات إمكانات دقيقة وواسعة تغطي معظم دول العالم، بالإضافة إلى اتفاقات عسكرية مع دول كثيرة، تخوِّلها استخدام قواعد جوية وبحرية وبرية قريبة من مسارح العمليات، ولها تحالفات عسكرية، يأتي على رأسها حلف الناتو، الذي تم تعديل ميثاقه ليغطي مساحات واسعة جداً تجاوزت المهام الدفاعية في أوروبا والأطلسي، تضمن إشراك دول أخرى في الحروب التي تشنها الولايات المتحدة.

فالولايات المتحدة قادرة على حشد القوة العسكرية التي تحتاجها لتحقيق التفوق الساحق على القوة الإيرانية أو قوة في الإقليم، إلا أن المعضلة الرئيسية التي تواجه الولايات المتحدة من الناحية العسكرية، هي سعيها إلى تحديد تأثير ردة الفعل الإيرانية وتقليلها؛ إذ لا

تزال التقديرات ترجح أن ردة الفعل هذه ستكون عالية وفي عدة أماكن من مسرح العمليات الواسع، والذي سيشمل جميع المصالح الأمريكية في الإقليم، وستكون أيضاً الخسائر البشرية الأمريكية عالية، بحكم وجود هذه القوات وقياداتها في العراق ومناطق مختلفة في الخليج وأفغانستان، وبالقدر الذي يكون وجود هذه القوات ضرورياً في هذه المناطق، لإنجاح المشروع الأمريكي في الإقليم، فإن استمرار وجودها سيشكل مغامرة كبيرة، ويعرضها لخطر التدمير من ردة الفعل الإيرانية.

لذلك، فالولايات المتحدة تبحث عن بدائل لهذا العمل لتقليل الخسائر والكلف البشرية والمادية، وأهم هذه البدائل:

- محاولتها توريط الدول العربية في مواجهة مع إيران، وفي حال نجاح هذه المحاولة ستجني الولايات المتحدة نتائج إيجابية كبيرة جداً؛ إذ سوف تحقق **مبدأ الحرب بالإنابة**، وسيكون تدخلها مبرراً، وتخفف من ردة الفعل الإيرانية على مصالحها، وستكشف مواقع القوات الإيرانية ... إلخ).
- حشد حلفاء يشاركون في العمل العسكري، سواء من حلف الناتو أو من خارجه.
- إحداث شرخ داخلي في الجبهة الإيرانية، وإحداث انفلاتات أمنية داخلية تضعف قدرة إيران على المواجهة، ومن ثم تتدخل الولايات المتحدة لمساندة الجانب الحليف، ويعدُّ هذا البديل من أهم البدائل.

- **القدرة الاقتصادية والتكنولوجية**

يمكن للاقتصاد الأمريكي أن يتحمل كلف حرب محدودة (المكان والزمان) ضد إيران، إلا أنه لا يمكن له تحمل حرب تدوم فترة طويلة، فالاقتصاد الأمريكي الآن يتعرض لهزة كبيرة، أدت إلى إغلاق مئات البنوك التي أعلنت إفلاسها، بالإضافة إلى المديونية والتي تجاوزت ١٣ تريليون، وكلفة الحرب المستمرة في العراق وأفغانستان، وتورطه في حرب مشابهة مع إيران سيكون بمثابة تثبيت المسمار الأخير في نعش الاقتصاد الأمريكي، لذلك فإن وجهة نظري (من الناحية الاقتصادية) أن توجيه أمريكا الأنظار إلى الخطر النووي الإيراني على السلم الإقليمي والعالمي، وإعلانها أن كافة الخيارات اتجاه هذا الخطر مفتوحة، بما فيها الخيار العسكري، يأتي في سياق تخويف دول الخليج للحفاظ عليها كسوق رئيسية للسلاح.

فهذا الرعب يترجم إلى مشاريع صفقات عسكرية وأمنية بمليارات الدولارات، وضرورة اقتصادية ومالية للدول المصدرة للسلاح، وضرورة سياسية لتسويغ سياسة الانحياز لإسرائيل، كما أنه سيحبط أي محاولة عربية جماعية للضغط على واشنطن من أجل تغيير سياساتها المؤيدة والمتواطئة مع إسرائيل، وسيضمن استمرار دعمها لهذا الكيان بالسلاح والمال، كما أنه ضرورة لتسويغ الوجود الأمريكي في الإقليم، وفي دول الخليج بالذات.

- **القوة السياسية**

تحاول الإدارة الأمريكية وضع سياسات لتحقيق مصالحها وأهدافها الرئيسية في الإقليم، وأبرزها:

- ضمان استمرار تدفق النفط
- سيطرتها على هذه المنطقة الاستراتيجية
- ضمان أمن إسرائيل

وتتبع الولايات المتحدة دبلوماسيات تعدُّ ناجحة نسبياً لإقناع الرأي العام العالمي وبشكل خاص «روسيا والصين» بسياساتها في الشرق الأوسط، أمّا إقليمياً، فإن معظم الدول العربية تساير- إلى حدٍّ ما- هذه السياسات أيضاً.

أما الرأي العام الأمريكي فإنه- بفعل المسوغات التي تسوقها هذه الإدارة- أصبح مقتنعاً بأن إيران تشكل خطراً على المصالح الأمريكية، وتشكل تهديداً للأمن القومي الأمريكي، بالإضافة إلى أن السياسات الأمريكية استطاعت تحريك الشارع الإيراني ضد قيادته من خلال دعمها لموقف الإصلاحيين، وبداية إحداث فتنة داخلية في إيران، يمكن تطويرها مستقبلاً لثورة ملوَّنة يمكن أن تُسقط النظام.

ومن الأمور الهامة التي تساعد على إنجاح السياسات الأمريكية في الإقليم، سواءً ضد إيران أو غيرها من البلدان العربية، قدرة السياسة الأمريكية التشكيك في **شرعية الأنظمة**، وبذلك توجد معارضة قوية ضد هذه الأنظمة، لذلك فإن الأنظمة تكون بين خيارين، إما أن تجد نفسها في مواجهة أمريكا، أو الإذعان لهيمنتها على حساب مصالح شعوبها.

- **إيـــران**

- **القوة العسكرية**

تمتلك إيران قوة عسكرية قادرة على رد الفعل القوي اتجاه بعض الخيارات الأمريكية العسكرية، وبشكل خاص إذا كان هذا الخيار يتضمن استخدام قوات برية بهدف احتلال إيران، أو بعض مناطقها، إلا أن رد الفعل الإيراني سيكون أقل تأثيراً في حال اقتصار الخيار العسكري الأمريكي على استخدام الصواريخ وسلاح الجو، ففي هذه الحالة سيكون رد الفعل الإيراني ضرب المصالح والقوات الأمريكية في كل من العراق ودول الخليج، إلا أن التأثير الكبير سيكون على الدول العربية التي تحوي قواعد أمريكية، بالإضافة إلى قدرتها على منع استمرار تدفق النفط، وإمكانية إغلاق مضيق هرمز.

- **القوة السياسية**

استطاعت السياسة الإيرانية أن تحافظ على تماسك الجبهة الداخلية، وبخاصة اتجاه التهديد الأمريكي، لحماية أمنها القومي والمشروع النووي، كما أن هذه السياسة – إلى حد ما- تستطيع إبعاد الدولة العربية عن تشجيع الولايات المتحدة على أي عمل عسكري، من خلال إرسال رسائل تطمين لهذه الدول، وتحذيرها من أن ردود فعلها ستطال – وبقوة- الدول العربية التي سينطلق منها العدوان الأمريكي، أو التي تشارك في هذا العدوان.

أما على الصعيد العالمي، فإن السياسة الإيرانية- ولغاية الآن- قادرة على إبعاد ملفاتها عن مجلس الأمن، وبشكل خاص المادة (٧)، وكثير من الدول الكبرى لا تؤيد استخدام القوة ضد إيران، من خلال اقتناعها بأن السياسات الإيرانية لا تشكل تهديداً للأمن والاستقرار الإقليمي والعالمي، علماً بأنه ليس لإيران تحالفات مع هذه الدول، وإنما لديها مصالح اقتصادية واستراتيجية ترى أن أي حرب ضد إيران ستعرضها للخطر.

وقد استطاعت إيران أن توجد لها حلفاء عرباً: (سوريا، التنظيمات العربية) يمكن أن يساندوها سياسياً وعسكرياً.

- **القوة الاقتصادية**

يبدو أن الشعب الإيراني- بما لديه من إمكانات اقتصادية، وإن كانت متواضعة اتجاه عدو مثل أمريكا- قادر على تحمل هذه الحرب، فإيران بلد واسعة واقتصادياتها محلية،

وشعوبها غير مرفَّهة وعاشت ظروفاً صعبة جداً، ويمكنها التعايش مع ظروف حرب مستقبلية، والحصار والمقاطعة الأمريكية جعلت من إيران بلداً يعتمد على الذات، يسير بخطى متسارعة على طريق التطور الصناعي، وهي بلد زراعي متنوع بالإضافة إلى أنها بلد منتج للطاقة النفطية.

- **إسرائيل**

- **القوة العسكرية**

تمتلك إسرائيل قدرات عسكرية متطورة من كافة الصنوف، تعتبر الأقوى إقليمياً، وتأتي في مصاف الدول العظمى وتمتلك قدرات غير تقليدية: «بيولوجية، كيماوية، نووية»، ولديها وسائل نقل لهذه الأسلحة تغطي معظم مناطق الإقليم، معتمدة بالدرجة الأولى على سلاح الجو والصواريخ البالستية، بالإضافة إلى امتلاكها ثلاث غواصات تحمل أسلحة نووية.

وتفوُّق إسرائيل مقارنة بسورية يعدُّ تفوقاً كاسحاً في حال نشوب حرب كلاسيكية، وتستطيع إسرائيل ضرب كافة مراكز الثقل الاستراتيجي لدى سوريا، بالإضافة إلى قدرتها تهديد العاصمة دمشق، حتى بالأسلحة التقليدية، فالموقف الاستراتيجي يميل لصالح إسرائيل بشكل واضح، حتى العامل الجغرافي فإنه يعمل لصالح إسرائيل من خلال مراكزها العسكرية في هضبة الجولان.

ومما زاد في قوة الموقف الإسرائيلي الاستراتيجي، خروج كلٍ من مصر والأردن من معادلة الصراع مع إسرائيل، لتوقعيهما اتفاقيتي تسوية سلمية مع إسرائيل، واضطرار سوريا للانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٤.

إلا أن الموقف الإسرائيلي اتجاه إيران يختلف، فالعامل الجغرافي يلعب دوراً رئيسياً، فمسافة تزيد على ٢٠٠٠ كم، بالإضافة لوجود عدة دول عربية فاصلة بينهما لا يمكن أن تسمح بشن هجوم إسرائيلي من خلال مجالاتها الأرضية والبحرية، وعلى الأقل فهذا يجعل شن حرب إسرائيلية ضد إيران أمراً شبه مستحيل، إلا أن لدى إسرائيل إمكانات تتعلق بامتلاكها سلاح جو متطوراً، ولديه إمكانات عالية لتنفيذ هجمات ضد مواقع وأهداف منتخبة في إيران، بالإضافة إلى امتلاكها لصواريخ بالستية متطورة، وهي أيضاً قادرة على ضرب أهداف إيرانية، وهاتان القدرتان معزِّزتان لوجود إسرائيل في الفضاء؛ فلإسرائيل عدة

أقمار صناعية تعمل في سماء الإقليم، بالإضافة إلى إمكانية حصولها على تسهيلات أمريكية في مجال الاستخبارات والتزويد الجوي والإسناد الإلكتروني، ومنحها ممرات جوية آمنة، وإمكانية توفير إسناد ناري من القواعد والمراكز الأمريكية في العراق ومنطقة الخليج، ومنح الغواصات الإسرائيلية تسهيلات لتنفيذ عمليات ضد أهداف إيرانية.

ومع هذا، فإنَّ عند **العسكرية الإسرائيلية نقاط ضعف** واضحة، يمكن تحويلها إلى وهن إذا أحسن التركيز عليها من الأطراف الأخرى، ويمكن أن تؤدي إلى هزيمة إسرائيل أو تدميرها.

وتتمثل نقاط الضعف هذه في **صغر مساحة إسرائيل، وتزاحم الأهداف ومراكز الثقل الاستراتيجي، وافتقارها لعمق استراتيجي وضيق المناورة الاستراتيجية ومحدوديتها**، فإذا ما أشبع المجال الإسرائيلي بالقصف الصاروخي والمدفعي لفترة طويلة نسبياً، وبشكل خاص فوق مراكز الثقل الصناعي، والسياسي، والسكاني والعسكري، فستكون إسرائيل قد واجهت كارثة قد لا تستطيع معالجتها، وهنا يمكن القول إن توفُّر السلاح النووي، وامتلاك أحدث تكنولوجيا الأسلحة لا يعني تفوق إسرائيل المطلق في مجال التوازن الاستراتيجي، فإسرائيل تعتمد كثيراً على حماية أمريكا ودعمها عسكريا واقتصادياً وسياسياً؛ وإسرائيل تجنِّد للحرب ما نسبته ١٣٪ من سكانها، وهذه أعلى نسبة تجنيد في العالم، وحشدها هذه النسبة للحرب يعني شللاً في الحياة العامة، فإسرائيل لديها حساسية شديدة للخسائر البشرية، (تعتبر نقطة وهن في ميزان القوى الاستراتيجي) وذلك عائد لأسباب عقائدية واجتماعية، وتشكل هذه الحساسية ضغطاً هائلاً على صانع القرار الإسرائيلي، وعلى تماسك الجبهة الداخلية، وأيضاً فإن لفقدان إسرائيل الدوافع الأخلاقية لحروبها في الإقليم أثراً كبيراً في إحداث معارضة داخلية وإقليمية ودولية للحروب الإسرائيلية.

إضافة لذلك، فإن إسرائيل فقدت عوامل الرعب والرهبة التي كانت تركز عليها في حروبها السابقة، والتي كانت تساعدها على تحقيق انتصارات سريعة ومن دون مقاومة معقولة تنهي بها المعركة العسكرية، وتفرض شروطها السياسية.

إن التطور في المقاومة العربية جعل إسرائيل كلها مكشوفة، وأصبحت مساحة إسرائيل كافة ساحة عمليات، وعليها استخدام كل إمكاناتها ووسائلها المتاحة طوال فترة الحرب، وهذا ما لا تستطيعه إسرائيل لفترة طويلة.

كانت إسرائيل هي التي تضع سيناريو الحرب من حيث الاستراتيجية المستخدمة، ومسرح العمليات وزمنها، إلا أن قدرة إسرائيل الآن تراجعت كثيراً، فهي قد تبدأ الحرب إلا أنها لا تستطيع تحديد مسارها وضبط ردود الأفعال زماناً ومكاناً.

ومما يؤخذ في الحسبان زيادة نسبة الإنفاق للحفاظ على التفوق العسكري، فلدى إسرائيل برامج دفاعية كبيرة ومتطورة، وهذا يستنفد جزءاً كبيراً من الدخل القومي الإسرائيلي، ولولا المساعدات الأمريكية لما استطاعت إسرائيل تمويل هذه البرامج.

يمكن القول إن الحقائق الاستراتيجية الآن جعلت من لجوء إسرائيل للخيار العسكري مغامرةً محفوفة بالمخاطر، وبالرغم من كل ذلك، فميزان القوى الاستراتيجي لا زال لصالح إسرائيل لأسباب عدَّة من أهمها:

- احتفاظها بزمام المبادرة الاستراتيجية: الفعل ورد الفعل.
- استجابة الأنظمة العربية وتأثر إراداتها السياسية سلباً بالردع الإسرائيلي.
- تفتت الجبهة العربية لدول المواجهة والدول الداعمة، وانشطارها.
- خروج بعض الأنظمة العربية من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي لتوقيعها اتفاقات تسوية سلمية.

- **القوة السياسية**

يبقى أن نقول إن إسرائيل تبحث الآن عن مسوِّغات سياسية تجعل أي عمل عسكري ضد إيران مقبولاً دولياً وإقليمياً، وهذا ليس بالأمر السهل، بالإضافة إلى حساباتها لرد الفعل الإيراني، الذي يمكن أن يكون قاسياً في «المجال العسكري»، فإيران تمتلك قدرة صاروخية قادرة على ضرب إسرائيل، وإسرائيل الآن في صدد منع الصواريخ الإيرانية من الوصول إلى أهدافها، إما بوضع خطة لتدميرها في مواقعها، أو التشويش عليها، أو التصدي لها بعد إطلاقها، وهنالك صعوبة سياسية تواجه إسرائيل في حال شنها حرباً ضد إيران، فكما ذكرنا، لا بد لسلاح الجو الإسرائيلي أو الصواريخ الإسرائيلية من المرور في المجال الجوي لدولة أو لدول عربية، وهذه معضلة يصعب على إسرائيل التعامل معها إلا من خلال المغامرة وفرض الأمر الواقع، كما حدث عام ١٩٨١ عندما دمرت المفاعل النووي العراقي، وفي حال شن الحرب وفشل إسرائيل في تحقيق أهداف هذه الحرب، وقدرة إيران على الرد، فستتعرض

إسرائيل إلى هجمة سياسية دولية وإقليمية واسعة تهدد مصالحها في الإقليم والعالم إلى الخطر، وهنالك خطر سينطلق من الجبهة الداخلية، تحسب له الحكومات الإسرائيلية ألف حساب عند إقدامها على أي مغامرة عسكرية، وتأثيراتها على الجبهة الداخلية، بالإضافة إلى إمكانية تدخل حلفاء إيران «سوريا، حماس.. إلخ» وقد يتطور الموقف إلى حرب غير محدودة «إقليمية» تتدخل فيها أطراف أخرى، ويعرِّض الأمن الإقليمي والدولي إلى مخاطر كبيرة، وتسبب انفلاتات أمنية في معظم دول الإقليم، وقد تتطور الأمور إلى ما هو أسوأ بكثير.

- **القوة الاقتصادية**

تستطيع إسرائيل أن تتحمل كلفة حرب محدودة «جغرافياً وزمنياً»، إلا أنها ولأسباب عدَّة، تتعلق بالإمكانات الاقتصادية، والجبهة الداخلية، والقوة البشرية، وحساسيتها للخسائر، وعدم قدرتها على إدامة الحياة في المجتمع؛ لهذه الأسباب لا تستطيع إسرائيل إدامة حرب لفترة طويلة، ولقد لاحظنا عجز إسرائيل الواضح في هذه الناحية في حربها المحدودة جغرافياً ضد حزب الله.

- **سوريا**

- **القوة العسكرية**

تمتلك سوريا قوة عسكرية كبيرة نسبياً في سلاحي البر والقوات الجوية، إلا أن قوتها البحرية صغيرة، غير أنَّ معظم الأسلحة التي يمتلكها الجيش السوري قديمة، ولا تستطيع مجاراة التطور التكنولوجي في الأسلحة والمعدات العسكرية الإسرائيلية، ومن خلال مقارنة قوى بشكل مبسط يتبين لنا بوضوح التفوق العسكري الإسرائيلي.

هنالك عوامل رئيسة أثرت سلباً في سوريا في صراعها المستقبلي مع إسرائيل، وهي:

الأول: خروج مصر والأردن من واجهة الصراع بتوقيعهما اتفاقات تسوية سلمية مع إسرائيل.

الثاني: انهيار الاتحاد السوفيتي الحليف الاستراتيجي لسوريا.

الثالث: الاحتلال الأمريكي للعراق، الذي أفقدها العمق الاستراتيجي.

الرابع: اضطرار القوات السورية الانسحاب من لبنان، وبذلك فقدت مجالاً حيوياً لانتشار قواتها، وانكشاف جناحها الأيمن اتجاه إسرائيل، وبذلك تخلت سوريا عن محاولاتها

تحقيق توازن استراتيجي يعتمد ترسانة أسلحة متقدمة وتحولت إلى **استراتيجية الحرب غير المتماثلة**، التي تركز على العناصر الرئيسة التالية:

١-الحصول على صواريخ أرض قصيرة ومتوسطة المدى تهدد مراكز الثقل الاستراتيجي في عمق إسرائيل.

٢-زيادة القوة السورية من الصواريخ المضادة للدبابات «كريزنتما» ويصل مداه ٦كم.

٣-منظومة دفاع جوي متطورة تواجه التفوق الجوي الإسرائيلي «صواريخ S300VM» ذات الفعالية العالية.

٤-زيادة حجم القوات الخاصة، مع اعتماد هذه القوات على أساليب حرب غير تقليدية.

٥-توزيع القوات البرية بما يتناسب وطبيعة الأرض وحركة القوات الإسرائيلية، وتمتلك سوريا ما يقارب ٥٠٠٠ دبابة بالإضافة إلى أسلحة م/ د تمكّنها من تدمير القوة الإستراتيجية المدرعة الإسرائيلية.

٦-التركيز على سلاح المدفعية، وبخاصة تلك القادرة على ضرب الأهداف في العمق الإسرائيلي.

٧-امتلاك صواريخ بر بحر المضادة للسفن والمدمرات «صاروخ C802».

- **القوة الاقتصادية**

تعدُّ سوريا من أفضل الدول العربية اكتفاءً واعتماداً على الذات في المجال الاقتصادي، ولا يعاني اقتصادها من مديونية كباقي الدول العربية، إلا أن الاقتصاد السوري غير قادر على تمويل مشاريع دفاعية كبيرة، تؤدي إلى سباق تسلح مع إسرائيل، لكنه قادر على الإيفاء بمتطلبات سوريا الدفاعية ضمن الحد المعقول.

- **القوة السياسية**

استطاعت السياسة السورية اتباع دبلوماسية حاذقة جنبتها الدخول في ثلاث مواجهات ليست لصالحها، كانت الأولى مع تركيا عام ١٩٩٨، والثانية مع الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣، والثالثة كانت الأصعب في مواجهة أمريكا والدول الغربية ومجلس الأمن بعد مقتل الرئيس الحريري في لبنان عام ٢٠٠٤، وهي الآن تتمتع بعلاقات متميزة مع تركيا، وتحقق

تقارباً ملموساً مع الدول الغربية، وبخاصة الاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى حفاظها على عصا التوازن بين إيران والعالم العربي.

وبالرغم من عدم إحرازها أي تقدم في تحرير أرضها المحتلة من قبل إسرائيل، إلا أنها لم تقدم تنازلات عن حقوقها، وهي في الوقت نفسه ترعى وتتقدم تيار الممانعة العربية، وتحتضن التنظيمات الفلسطينية على أراضيها، وتقدم لها متنفساً وعمقاً استراتيجياً في مواجهة إسرائيل.

إرادات الأطراف ودوافعها لشن الحرب

الإرادة هي التعبير الواضح عن السيادة الوطنية والقومية، وتحمل مشروعاً يتضمن أفعالاً وردود أفعال من أجل تحقيق التنمية الشاملة وتطورها، وتحشد طاقات الأمة وإمكاناتها لإنتاج جهد واحد مشترك، وتتطلب طابعاً إيجابياً في تحقيق ضرورات التنمية والوحدة الوطنية، وتتطلب هذه الإرادة أيضاً عقداً اجتماعياً ينظّم علاقة الأنظمة مع مجتمعاتها، ويحقق الانسجام الكامل بينهما.

وأول أساسيات هذا العقد **شرعية الأنظمة** التي يجب أن تبنى على أسس العدالة والديمقراطية، واحترام العلاقة الواضحة والدقيقة بين الحقوق والواجبات، فلا النظام يستأثر بالحقوق، ولا المجتمع يتكفل بكل الواجبات، ومن هنا يبدأ بناء المؤسسية والمؤسسات.

وهذا البناء بالطبع سيفضي لوضع السياسات والأهداف والمبادئ وإقرار الاستراتيجيات، وما تتضمن من توظيف مدروس للإمكانيات وترتيب الأولويات، لمواجهة التحديات الداخلية، والإقليمية، والدولية، وتحقيق الأهداف.

والإرادة الفاعلة في حشد وتجميع شتات الطاقات والإمكانات لإنتاج جهد واحد في «مشروع وطني وقومي» من خلال عمل مؤسَّسي، يخلق رادعاً قوياً في وجه قوى التحدي والتهديد، الأمر الذي يحقق منجزات تنموية تحفظ الأمن الوطني والقومي، وتصونه.

ويمكن تحقيق هذه الإرادة شريطة متانة العقد الاجتماعي بين النظام والمجتمع مع استمرارية شرعية النظام، وأن لا يتم اختزال جزء من جهود الأمة في مواجهات بينية، وأن لا تدور هذه الإرادة في فلك المشاريع الأجنبية، ولا يتم اختراقها من خلال اتفاقات

ومعاهدات ثنائية مع الأجنبي (سياسية أو اقتصادية أو دفاعية)، وتفضيل الوطني على القومي، تحت غطاء العولمة والانفتاح غير المنضبط.

والدوافع والأهداف الوطنية والقومية المدروسة تعمل رافعة رئيسية لخلق الإرادة الصلبة، وهذه الدوافع تبنى بشكل رئيسي على صياغة الأهداف المناسبة وفهمها، للتمكُّن من تحقيق مواجهة عقلانية مع الواقع الذي يعمل لإعاقة تحقيق هذه الأهداف، وقد تقود هذه المواجهة إلى تغيير جذري يتضمن جهوداً سياسية أو اقتصادية أو دفاعية..إلخ، مع ضرورة بناء علاقات إقليمية ودولية، أساسها المنفعة والاحترام المتبادل، دونما تجاوز على الحقوق السيادية، التي تُعدُّ خطوطاً حمراء، تستدعي استراتيجيات المجابهة.

بناء على ما تقدم، ندرك أن من يمتلك المشروع المتكامل سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ودفاعياً وأمنياً، يستند إلى استراتيجيات وأدوات وآليات تنفيذ، يمتلك الإرادة لتحقيق هدف مشروعه والدفاع عنه، وتكون أفعاله وردود أفعاله مدروسة ومعدَّة سلفاً، ولا تكون ردود أفعال ظرفية وارتجالية.

- **الولايات المتحدة**

تمتلك الولايات المتحدة مشروعاً متكاملاً يحقق سياساتها في الشرق الأوسط، وهذا المشروع قديم، حقق إنجازات كبيرة في المنطقة، ولا يمكن للإدارات الأمريكية المجازَفة بهذه المنجزات، بل تسعى للحفاظ على مصالحها، والاستمرار في تحقيق منجزات جديدة في ظل المتغيرات الإقليمية والعالمية، ولا يعدُّ تردد الولايات المتحدة في شن الحرب إلغاءً لهذا الخيار، بل إن ذلك يعبر عن وجود خيارات أخرى أقل كلفة، كونها توازن باستمرار بين **فوائد الخيارات** المختلفة وكلفها، وبخاصة خيار الحرب.

فالولايات المتحدة هي التي أوجدت **استراتيجية الحرب الاستباقية**، وتؤمن بجدوى هذه الاستراتيجية، وطبقتها في أكثر من مكان وزمان، بل إنها سارت إلى ما هو أبعد من ذلك في ابتداع **استراتيجية الحرب الوقائية**.

وإذا كانت الحرب الاستباقية تتعلق بالتحركات والإجراءات المعادية، فإن الحرب الوقائية تتعلق بالنوايا المستقبلية للطرف الآخر، وهذا الأمر في منتهى الإفراط والتطرف في إظهار الإرادة، والاستعداد للسير إلى الحرب، ولكن من خلال مغامرة محسوبة، إلا أنه يجب

أن نتذكر أن وجود الإرادة لا يستدعي الإفصاح والإعلان عن نوايا الحرب مسبقاً، لأغراض عسكرية تتعلق بالأمن والمفاجأة العسكرية.

أما أهم أهداف المشروع الأمريكي فتتعلق بتأمين إمدادات النفط دون انقطاع للاقتصاد الأمريكي والاقتصاديات الموالية له، وتحقيق أمن إسرائيل والحفاظ على وجودها وتفوقها المطلق على كل الدول العربية، وبلورة منظمة أمن أقليمي تشارك إسرائيل فيها، ومنع أي تطورات استراتيجية تظهر منها نوايا إزعاجها وتهديدها، وإقامة دولة فلسطينية لا تمثل أي تهديد لإسرائيل، وحماية الأنظمة الصديقة والمعتدلة إلى الحد الذي يحافظ على استمرار دعمها للسياسات الأمريكية ونشر قيمها- سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً .. إلخ- بما في ذلك دفع الأنظمة والمجتمعات إلى تبني صيغ حكم تتوافق مع شعاراتها: «ديمقراطية، وحقوق إنسان، ونظام سوق، وتجارة حرة.. إلخ»، والوقوف أمام أي قوى دولية منافسة قد تهدد مصالحها في الإقليم، ومواجهة ما تسميه «الإرهاب» وقوى التطرف الديني والأصولي الإسلامي، أو أي قوى تمثل جبهة رفض لنفوذها، والحفاظ على قواعدها في المنطقة وبخاصة في العراق، كمنصة انطلاق ذات طابع خاص «سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً» لأطول فترة ممكنة.

ولتحقيق هذه الأهداف هنالك وسائل متعددة، تُعدُّ الحرب إحداها، ولكنها ليست الخيار الأول ولا الأفضل، ومن أهم هذه الوسائل:

- اعتراف معظم الدول العربية بمصالح أمريكا في الإقليم، حتى إن أشد الدول العربية ممانعة للمشروع الأمريكي لا تعلن معارضتها لهذه المصالح.
- خلق فهم سياسي وأمني واجتماعي واقتصادي تتبنّاه نخب فكرية عربية، يتفق فهمها والفهم الأمريكي للقضايا الإقليمية كافة، وما أن تطرح مبادرة أمريكية إلا وتتسابق لتلقفها وتأييدها كثير من الأنظمة والشخصيات العربية، ويدرك صانع القرار الأمريكي بأن هذا المشروع لن يكتب له النجاح في ظل إقليم موحد متماسك، لذلك بُذِلت كثير من الجهود من أجل تقسيم العالم العربي، وتحقق له ذلك، فقد عمل هذا المشروع على ترسيخ القطرية على حساب القومية، وإيجاد جو عدم الثقة بين الأنظمة والشعوب العربية، وإشعار الطرفين بحاجتهما للدعم الأمريكي، فالأنظمة تهدف إلى البقاء والاستمرار، والشعوب تهدف إلى الإصلاح والتغيير والديمقراطية.

- إقصاء الدور الفاعل للتنظيمات الإقليمية وتهميشه، وبخاصة جامعة الدول العربية.
- عقد صفات سرية وعلنية مع معظم الأطراف لحماية مصالحها وتمرير قراراتها.
- ربط معظم الدول العربية باتفاقات ومعاهدات لها أولوية على كافة الاتفاقات البينية، تشمل كافة المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدفاعية والأمنية، مما جعل أمريكا الشريك الإقليمي الأكبر والأهم، ومنحها حرية الحركة المناورة، وأضعف قوى الإقليم على الممانعة، وهذا يسهل اللجوء للخيار العسكري فيما لو فكرت أمريكا فيه لتنفيذ سياسات معينة ضد أي طرف؛ بمعنى آخر، يمكن القول إن العالم العربي يُعدُّ مستعمرة أمريكية بوسائل ناعمة.

نستنتج من كل ما سبق أن خيار الولايات المتحدة في الحرب خيار مطروح، وإرادة الحرب موجودة، إلا أن أمريكا تسعى قبل شن الحرب تحقيق أمور متعددة تضمن نجاحها في الحرب مثل: توسيع دائرة المشاركة معها وبخاصة الدول العربية، والبحث عمن ينوب عنها في هذه الحرب «الحرب بالإنابة» إن أمكن ذلك، وتمزيق قوى الممانعة وتشتيتها من الداخل «إيران، سوريا... إلخ» وإضعاف قدرتها على رد الفعل، وتذليل صعوبات البيئة الاستراتيجية «محلياً، وإقليمياً، ودولياً» وخلق المسوغات السياسية والأخلاقية لهذه الحرب، وبالتالي تقليل كلفة الحرب إلى أدنى درجة ممكنة مادياً وبشرياً.

- **إسرائيل**

تمتلك إسرائيل مشروعاً متكاملاً «المشروع الصهيوني»، وهو يسير بشكل مواز للمشروع الأمريكي، والصهيونية هي التي شجعت أمريكا وجرَّتها للهيمنة على منطقة الشرق الأوسط، فالمشروع الصهيوني قديم، واستطاع تحقيق إنجازات كبيرة «كمَّاً ونوعاً» على حساب الوطن العربي.

والهدف الرئيس لهذا المشروع الحفاظ على الأمن القومي الإسرائيلي، وأهم وسائله:

- شرذمة العالم العربي وإضعافه.
- دفع العالم العربي للاعتراف بإسرائيل.
- ضمان التفوق المطلق لإسرائيل في كافة المجالات، والسيطرة على مناطق حيوية واستراتيجية.

- السعي لإيجاد نظام أمن إقليمي تشارك فيه إسرائيل.
- إيجاد نظم عربية مناهضة للقومية والإسلام، وتسعى للتطبيع مع إسرائيل.
- تشجيع الطائفية في الإقليم، وخلق بؤر انفلات أمني محتقنة يمكن شحنها وتفجيرها بما يتفق والمصالح الإسرائيلية.
- إخراج أكبر عدد من الدول العربية من دائرة الصراع من خلال معاهدات واتفاقات وتسويات بينها وبين إسرائيل، مما يمكن إسرائيل من الانفراد بدولة أو تنظيم عربي.

تتبنى إسرائيل استراتيجية الحرب الاستباقية والحرب الوقائية، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة، وهي قادرة على خلق المسوغات والأحداث، واستغلالها لشن الحرب بحجة الدفاع عن أمنها الوطني، فقد نجحت في تصوير إيران على أنها خطر، ليس فقط على الأمن القومي الإسرائيلي بل على الأمن والاستقرار الإقليمي العالمي، ووصل نجاحها إلى ما هو أبعد من ذلك، عندما أوحت لبعض الأنظمة العربية بأن إيران هي مصدر التهديد الرئيسي للأمن القومي العربي، وبذلك لفتت الانتباه عن تهديدها المباشر لدول الجوار العربي.

بناء على ما تمتلكه إسرائيل من إمكانات ومساندة أمريكية وما تسعى إليه من أهداف، يمكن القول إنها تمتلك إرادة الحرب وتحتفظ بزمام المبادرة، ومسوغاتها جاهزة لشن الحرب، وهي تستعد لهذه الحرب وتحضر لها، فالحرب بالنسبة لها مطلب حيوي لإنقاذ سمعة مؤسستها العسكرية، إلا أنها قبل ذلك تسعى إلى أمور عدَّة هامة:

أولاً: محاولة توريط من ينوب عنها في هذه الحرب، والمرشح الأفضل هو الولايات المتحدة وحلفاؤها العرب.

ثانياً: إضعاف قوى الممانعة والانفراد بها.

ثالثاً: تقليل كلفة الحرب مادياً ومعنوياً وبشرياً لأدنى حد ممكن.

- **إيـــران**

تمتلك إيران مشروعاً متواضعاً يعتمد على القدرات الذاتية، وله امتدادات إقليمية ضيقة: «سوريا، العراق، تنظيمات إسلامية، تأييد شعبي».

ويهدف المشروع الحفاظ على الأمن القومي الإيراني، ويستند إلى أربعة ركائز أساسية لتحقيق هذا الهدف وهي:

- تماسك الجبهة الداخلية.
- تحقيق نجاح المشروع النووي.
- كسب تأييد الإقليم العربي أو على الأقل تحييده.
- إحباط محاولة إمريكا للحصول على تأييد وتفويض أممي في مواجهتها مع إيران.

والسياسة الإيرانية لا زالت تتقدم في بناء هذه الركائز، وهي تسابق الزمن لتفويت الفرصة على أعدائها، وتستغل التورط الأمريكي في كل من العراق وأفغانستان، فأمريكا بحاجة إلى وقت طويل للتغلب على الصعوبات لإنجاح مشروعها في كلا البلدين، في حين تملك إيران إمكانات التدخل إن أرادت لزيادة الصعوبات الأمريكية في هذين الموقعين، وأمريكا تدرك هذه الحقيقة، وهذا يمنح إيران فرصة الوقت وتحسين موقفها الاستراتيجي في رفع قدرتها على امتصاص الضربة، ورد الفعل المؤثر، وتحسين قدرتها على الردع، وإنجاز المشروع النووي، وتحسين علاقاتها بالجوار الإقليمي.

يمكن القول بأن إيران تمتلك مقومات الرد الفعال وإمكاناته، **وإرادة الحرب الدفاعية**، حيث إنها لن تكون البادئة بشن الحرب لأمور تتعلق بإمكاناتها، بالإضافة إلى صعوبات البيئة الإقليمية والدولية، وما تمتلكه كل من أمريكا وإسرائيل من قدرات ردع نووي، وهذا يفقد إيران زمام المبادرة، إلا أنها قادرة على ردة فعل قوية كما قلنا، وهذا تخشاه كل من أمريكا وإسرائيل، إلا أن ردة الفعل القوية ستكون باتجاه دول الخليج.

- **الدول العربية**

تفتقر الدول العربية إلى مشروع قومي يؤهلها لمواجهة المشاريع الأجنبية، بالرغم من امتلاكها قدرات وإمكانات كبيرة، إلا أن هذه الإمكانات مشتتة.

وفي الوقت الذي تشكل فيه بعض الدول والتنظيمات العربية ممانعة ومقاومة لكل من المشروعين الأمريكي والصهيوني، إلا أن دولاً عربية أخرى تدور في فلك المشروع الأمريكي، وتسخِّر إمكاناتها لمساندته، وبعض الدول العربية تغض الطرف عن المشروع الصهيوني، من خلال عقد اتفاقات تسوية أخرجتها كلياً من دائرة الصراع وخط المواجهة مع إسرائيل.

وبالرغم من أن الدول العربية تملك الأسباب والموسوغات لشن الحرب، حيث إن هنالك أراضي تحتلها إسرائيل في كل من سوريا، ولبنان، وفلسطين، ومع شن إسرائيل

حربين في جنوب لبنان وغزة في هذا العقد، إلا أن الدول العربية لم تحرك ساكناً، بل كانت أحياناً تعطي مسوغات للحرب الإسرائيلية.

ومن جهة أخرى فإن أمريكا تحتل العراق منذ العام ٢٠٠٣ ودمرت بنيته التحتية وحضارته، وقتلت وشردت مئات الألوف من العراقيين، ومع كل ذلك فالدول العربية بالإضافة إلى عدم مساندة العراق قدمت تسهيلات للاحتلال الأمريكي ومنحته الشرعية، وتنظر للمقاومة العراقية على أنها انفلات أمني يهدد الإقليم، وشكل من أشكال «الإرهاب».

وتختلف سوريا في موقفها عن معظم الدول العربية، إلا أن إمكاناتها منفردة لا تمكنها بالقيام بعمليات اعتراضية تجاه إسرائيل، وهي قادرة على شن حرب دفاعية تحت ظروف محددة.

يمكن القول: إن لدى الدول العربية إمكانات كبيرة غير مستغلَّة، ولديها المسوغات لشن حرب، ولكنها تفتقر لمشروع عربي موحَّد، وبالتالي تفتقر لإرادة القتال وشن الحرب.

سيناريوهات وقوع الحرب وعدمها

النقاط الساخنة في منطقة الشرق الأوسط كثيرة، والنزاع لا يقتصر على طرفين وإنما فيه أطراف متعددة، وأسئلة من مثل: من سيبدأ الحرب؟ وضد من؟ وأين ستكون؟ وغيرها، تستدعي توقع عدة سيناريوهات مختلفة ومتداخلة، إلا أننا أثبتنا أن من يملك إرادة شن الحرب وخلق الأحداث والمسوغات هما أمريكا وإسرائيل، والاعتراف بهذه الحقيقة قد يقودنا إلى التصور المنطقي والسليم لتحديد سيناريوهات الحرب، «علماً أن الأمور أحياناً لا تخضع للمنطق» من خلال الافتراضات التالية:

- **الافتراض الأول (أمريكا في مواجهة إيران)**

ومن خلال اعتماد الحقائق السابقة نتوقع السيناريوهات التالية:

سيناريو استبعاد الحرب

فمن خلال دراسة الحقائق والواقع وكافة العوامل المؤثرة، نجد أن هذا هو السيناريو الأكثر احتمالاً، وذلك للحقائق التالية:

- وجود أوراق قوية بيد إيران، وأمريكا تدرك ذلك، وقد تكون هنالك صفقات سرية بين الطرفين، ليس من باب نظرية التآمر، وإنما من منطلق تغليب المصالح.

- حاجة أمريكا لإيران في كل من أفغانستان والعراق.
- من غير المنطقي دخول أمريكا في حرب جديدة مع تورطها في حربين.
- كانت إيران ولا زالت أكبر المستفيدين من احتلال أمريكا للعراق، حيث تلاشى التهديد العراقي، وانشغلت أمريكا عنها.
- ليس من السهل تحقيق نجاح عسكري على إيران وبخاصة في هذه الظروف.
- أمريكا تعيش أزمة اقتصادية حادة لا تسمح لها بفتح جبهة جديدة، وهي الآن تعاني من كلفة الحرب في العراق وأفغانستان، بالإضافة إلى أن إيران ليست كالعراق أو أفغانستان، لذلك فأمريكا ستستمر بتهديد إيران والضغط عليها، وتستمر بإعلانها أن كافة الخيارات مفتوحة بما فيها خيار الحرب، وهذا يؤمِّن لها دعم الصين وروسيا في خيار العقوبات، لتفادي خيار الحرب.

- أمريكا بحاجة لإيران في وضعها الحالي لتشكل «بعبع» لدول الخليج من أجل استمرار وجودها، واستمرار صفقات الأسلحة.

سيناريو شن الحرب

من خلال اللجوء للمنطق أحياناً، ومن خلال توقع الأسوأ، وظاهرة استخفاف الإدارة الأمريكية أحياناً بالحسابات «السياسية والاقتصادية.. إلخ..» ومحاولة إزالة المنكر بمنكر أكبر منه، فيمكن أن تشن أمريكا الحرب على إيران، وفي هذه الحالة ستكون الحرب على شكلين:

أولا: ضربات جوية وصاروخية مكثفة ومركزة

تستهدف الدفاعات الجوية، ومنصات إطلاق الصورايخ، ومواقع المفاعلات النووية، ومراكز القيادة والسيطرة، والمطارات، ومراكز الثقل السياسي، والقوات الإيرانية البرية على الواجهة العراقية، والقوة البحرية وقواعدها، واحتلال مراكز ومواقع برية على الحدود العراقية الإيرانية.

ثانيا: حصار بحري وجوي لفترة طويلة

يهدف هذا السيناريو إلى تدمير المشروع النووي الإيراني وإنهائه، وتدمير قدرة إيران على تنفيذ عمليات اعتراضية «صواريخ، سلاح جو، دفاعات جوية»، وتحطيم الروح المعنوية للشعب الإيراني، ومن ثم إسقاط النظام.

- **الافتراض الثاني (إسرائيل في مواجهة سوريا أو حزب الله أو كليهما)**

والموقف الإسرائيلي يستدعي اللجوء لهذا الافتراض بسبب التهديد المباشر الذي يمثله حزب الله لكافة المواقع داخل الكيان الإسرائيلي، ولإعادة الهيبة للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية، ولقطع ذراع التحالف الإيراني السوري القريب من إسرائيل، وفي هذا الافتراض نتوقع السيناريوهات التالية:

السيناريو الأول

ستشن إسرائيل الحرب على لبنان بتوجيه ضربة جوية وصاروخية لكافة الأهداف التي يمثلها حزب الله، وتدمير المطارات، الموانئ، ومراكز القيادة للجيش اللبناني، وقوات الجيش اللبناني، وتدمير البنى التحتية، ومن ثم اجتياح لبنان واحتلاله بقوات برية كبيرة، ويهدف هذا السيناريو إلى تدمير قوات حزب الله، وتحويله إلى حزب سياسي أو طرده خارج لبنان وقتل قياداته وأسرها، والضغط على لبنان للتخلي نهائياً عن خيار المقاومة ونبذها، وسحب السلاح من يد مقاتلي حزب الله وكافة التنظيمات الفلسطينية الموجودة على الأرض اللبنانية.

السيناريو الثاني

تدخل إيران وسوريا لمساندة حزب الله، وفي هذه الحالة لن تجري إسرائيل تعديلات رئيسية على السيناريو الأول، وسيكون سير العمليات مع إيران وسوريا، على الشكل التالي:

إيران: إمكانية إيران في مساندة حزب الله ستقتصر على ضرب إسرائيل بالصواريخ التقليدية، وسيكون تأثيرها محدودا جداً، وهنا ستجد إسرائيل الحجة لضرب إيران بالطائرات والصواريخ من خلال خطة معدة سلفاً، وستكون أهدافها: المشروع النووي الإيراني، ومراكز القيادات السياسية والعسكرية، والمدن الإيرانية، وسيكون مقصد إسرائيل من ذلك: محاولة تدمير المشروع النووي الإيراني، وإثارة الرأي العام الإيراني ضد النظام، وبالتالي إسقاطه.

وقد تكون العمليات الإسرائيلية بمساندة أمريكية (استخبارية، لوجستية، إسناد عملياتي، وفي مثل هذه الحالة على الرجح، تقوم أمريكا بتنفيذ هذه العمليات، وتتفرغ إسرائيل لمواجهة سوريا وحزب الله.

سوريا: ستكون إمكانات سوريا في التدخل مؤثرة جداً على إسرائيل لاعتبارات عسكرية وجغرافية، فإسرائيل تقع تحت تأثير معظم الأسلحة السورية وبخاصة سلاح الصواريخ والمدفعية، فمعظم مراكز الثقل الإسرائيلي يمكن التأثير عليها بصواريخ قصيرة المدى، ولسوريا القدرة على إشباع الأجواء الإسرائيلية بالصواريخ بحيث تعجز مظلة دفاعها الصاروخي عن المواجهة.

والتدخل السوري أمر تتوقعه إسرائيل، وقد يكون هجومها على لبنان بهدف جر السوريين إلى الحرب، لذلك ستكون خطط المواجهة معدَّة سلفا، وستطور إسرائيل الحرب على الشكل التالي:

- ضربة جوية وصاروخية بالإضافة إلى المدفعية بشكل مكثف ومركز يستهدف الدفاعات الجوية، ومنصات إطلاق الصواريخ، ومراكز القيادات، والمطارات، ومركز الثقل السياسي، والقوات السورية البرية على واجهة الجولان.
- تدمير القوات والقواعد البحري السورية.
- سرعة اجتياح لبنان.
- استخدام القوات البرية الإسرائيلية على ثلاث محاور.
- محور هضبة الجولان باتجاه دمشق، ومحور لبنان، والبقاع، وحمص، وإنزال بحري على سواحل اللاذقية وطرطوس.

رد الفعل الإيراني

يتوقع أن تستطيع إيران امتصاص الضربة الأمريكية أو الإسرائيلية، وسيكون ردها شاملاً المواقع الأمريكية الموجودة في الخليج، إضافة إلى الدول الخليجية، على الشكل التالي:

- ضربة صاروخية إيرانية على القوات الأمريكية في دول الخليج.
- ضربات صاروخية على مراكز القيادات الأمريكية في المنطقة.
- ضرب مراكز القوات الأمريكية وقياداتها في العراق.
- مهاجمة البحرية الأمريكية وقواعدها في الخليج.
- ضرب المراكز السياسية والاقتصادية لدول الخليج.
- هجمات انتحارية مختلفة على القوات الأمريكية في العراق.

- هجوم بري على القوات الأمريكية في العراق.
- تدمير حقول وآبار النفط.
- إغلاق مضيق هرمز.
- ضرب القوات الأمريكية في أفغانستان والتنسيق مع طالبان لهذه الغاية.

رد الفعل السوري

من المتوقع أن تكون الضربة السورية الأولى «ضربة التدخل» ضد إسرائيل مؤثرة جداً، وإلا فلن تقدم سوريا على تنفيذها، وتأثيرها بالدرجة الأولى سيكون على المطارات الإسرائيلية ومراكز القيادة العسكرية والسياسية، وهذا سيخفف ردة الفعل الإسرائيلية، وسيساعد سوريا على تطوير عملياتها على الشكل التالي:

- استغلال الصدمة ضد إسرائيل وإدامة الزخم باستمرار الضربات الصاروخية والمدفعية المكثفة على المطارات، ومراكز القيادات، وطرق المواصلات، ومحاور تحرك القوات الإسرائيلية، والموانئ.
- ضربات مركزة على مواقع القوات الإسرائيلية في الجولان.
- تنفيذ هجوم سوري بري على محورين: **الأول** باتجاه الجولان لاستعادة الأراضي السورية المحتلة، **والثاني**: باتجاه البقاع (جنوب لبنان) لمساندة الجيش اللبناني وحزب الله، ودحر القوات الإسرائيلية خارج حدود لبنان.
- يمكن استخدام سلاح الجو السوري، واستمرار استخدام الصواريخ والمدفعية لإسناد العمليات البرية، مع تغطية كافة الأهداف وبخاصة شمال إسرائيل.

تداعيات الحرب

يعتمد حصر تداعيات الحرب القادمة في الشرق الأوسط بشكل أقرب للدقة على سيناريوهات الحرب والأطراف التي ستشارك فيها، وعمق هذه الحرب ومستواها، وأخيراً النتائج العسكرية التي ستتمخض عنها، إلا أنه- بشكل عام- يمكن توقع التداعيات من خلال افتراض النتائج العامة لهذه الحرب:

١. فشل الحرب على إيران وسوريا

إذا فشلت الحرب الأمريكية والإسرائيلية على إيران وسوريا أو عدم إقدامهما على

شن هذه الحرب، فيتوقع التداعيات التالية:

أ- فشل المشروع الأمريكي في الإقليم، يتبعه تغيير جذري في السياسة الخارجية الأمريكية.

ب- انسحاب كثير من الدول من التحالف الأمريكي الدولي في كل من العراق وأفغانستان.

ت- تقديم تنازلات إسرائيلية في القضية الفلسطينية، والتخلي الأمريكي التدريجي عن دعم إسرائيل.

ث- انسحاب إسرائيل من الجولان ومزارع شبعا اللبنانية، وتوقيع اتفاقات تسوية ضمن شروط مرضية.

ج- انفراط عقد مجلس التعاون الخليجي.

ح- تنامي قوى الممانعة وقوى المعارضة، وتغير بعض الأنظمة وبخاصة في دول ما يسمى بالاعتدال العربي.

خ- تغير جذري في نظام الأمن الإقليمي، وبخاصة جامعة الدول العربية.

د- تزايد نفوذ بعض القوى الدولية في الإقليم وبخاصة الصين.

ذ- تزايد نفوذ إيران في المنطقة وظهور تيار قومي عربي مقابل ذلك.

ر- تعاظم التيار الإسلامي وتسارع نموّه في الإقليم والعالم.

ز- تطور سباق التسلح في الإقليم باتجاه التحول للتكنولوجيا النووية وانفلات النظام العالمي لضبط التسلح.

س- تطور الأزمة الاقتصادية التي تعيشها أمريكا وأوروبا إلى الأسوأ، وتراجع استثماراتها في الإقليم، وحلول استثمارات صينية مكانها.

ش- خسائر اقتصادية كبيرة في دول الخليج تشمل موارد النفط والبنى التحتية، وحدوث انهيار اقتصادي في هذه الدول.

ص-خسائر بشرية كبيرة في دول الخليج.

٢. نجاح الحرب على إيران وسوريا

إذا شُنَّت حرب أمريكية إسرائيلية على كل من سوريا وإيران، أو واحدة منهما ونجحت هذه الحرب، فيتوقع التداعيات التالية:

أ- تسارع نجاح المشروع الإمريكي وتزايد الهيمنة الأمريكية في الإقليم والعالم.

ب- تعمُّق المشروع الصهيوني وزيادة وتيرة التطبيع مع الدول العربية.

ت- تغير الأنظمة السياسية في كل من سوريا وإيران.

ث- حدوث تغير في الجغرافيا السياسية في الإقليم، وتقسيم بعض دوله على أسس طائفية.

ج- ضعف التنظيمات الإسلامية والقومية واضمحلالها.

ح- طرد التنظيمات الفلسطينية من الأراضي الفلسطينية، وتحويل القضية الفلسطينية إلى قضية إنسانية، وتحويل الفلسطينيين إلى سكان على أرض الميعاد.

خ- ظهور النظام القطري على حساب القومية والإسلام.

د- سيطرة أمريكية على نفط المنطقة بما فيها إيران.

ذ- زيادة الاستثمارات الاقتصادية الغربية في الإقليم.

ر- تراجع علاقات الصين وروسيا مع دول الإقليم.